-١-

سورة التكوير

دراسة لغويَّة أُسلوبيَّة

الدكتورة هدى هشام إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد... فسورة التكوير من السور المكية الحافلة بالمشاهد والصور المتعلقة بيوم القيامة، التي تحاكى الفكر العربي في وقت نزولها وقد احتوت على عدة أساليب في إيراد المعنى المروع، كما تضافرت كل المستويات اللغوية لرسم المشاهد بإيقاعات تناسب تلك المشاهد.

وفي هذا البحث الصغير قسمت المباحث حسب المستويات اللغوية المعروفة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

وقد بينت في كل مستوى أهمية ذلك في رسم المعنى وتوضيحه بشكل يدل على الإعجاز اللغوي في هذهِ السورة على قصرها فهي مملوءة بالحشد الفني الذي خاطب بلغاء العرب في ذلك الزمان وبأساليبهم البلاغية نفسها في الكلام إلا أن القرآن تفوّق عليهم في كل مستويات اللغة.

وفي الختام أَسأل الله أن يوفقني في هذا البحث ويكرمني بنعمة الإخلاص ويهديني سواء السبيل.

المبحث الأول
المستوى الصوتي

إنَّ النغمات في القرآن لتنبعث حتى في اللفظة المفردة في كل آية من آياته، فتكاد تستقل -بجرسها ونغمها وظلالها- بتصوير مشهد بديع الألوان.

والأمثلة في هذهِ المشاهد كثيرة، وكلها تشير إلى أن جرس المفردات القرآنية وظلال خيالها يوحيان بالمعنى قبل أن يوحي المدلول اللغوي به ومن ذلك قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[١].

فهمس السين المكررة، وخفة وقعها في الأذن يوحيان بظلال النعومة وراحة النفس، وفي (عسعس) و(تنفس) جرس يوحي بدلالة المعنى إذ يرسم صورة حسية لإقبال ظلام الليل بآفاقه المترامية... ثم انفلات الصبح من مخبأ الليل وسجنه، وما يصحبان ذلك من صحوة الكون، ودبيب الحياة في أرجائه[٢].

كذلك تكرار حرف السين في هذهِ الآيات وذلك في قوله تعالى (اقسم، الخنس، عسعس، تنفس)، وصوت (الصاد) القريب من صوت السين في قوله تعالى (الصبح) حيث يشتركان في كونهما من أصوات (الصفير)،(والهمس).

وقد استخدم الفعل (أقسم) لأنه أكثر ألفاظ القسم مناسبة للسياق العام للآيات اللاحقة وأصوات (الخاء) في (الخنس)، والكاف في (الكنس)، والحاء في (الصبح) والتاء والفاء في تنفس نلاحظ أن الأصوات المهموسة تشكل هامشاً دلالياً واضحاً يعبر بدقة وشفافية عن الصور التي أرادت هذهِ الألفاظ التي ترسمها ((فعَل الاجرام التي ذُكرت

(١) سورة التكوير الآيات: ١٥- ١٨.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٥٢٩.

كائنات ليلية وصورة الصبح الوحيدة كانت في وقت الفجر وكل تلك الوحدات الزمنية تتسم بالهدوء والسكون ويمكن أن نتحسس بما توحيه إلينا تلكم الألفاظ من حركة الأجرام على الرغم من عظمة أجرامها إلا أننا لا نسمع لحركتها صوتاً بل نلمح فقط تغيير مواقعها في القبة السماوية فهي أجرام سيارة[1])).

ونعود إلى لفظة (عسعس) حيث تكرر صوت (العين) وهو صوت رخو حلقي مجهور، وصوت (السين) وقد سبق الحديث عنه.

ومن التكرار الصوتي: لصوتين أو أكثر، قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ)، فمع اتفاق كلمتي (الخنس) و (الكنس) في بنائهما المقطعي فإنها تماثلت في صوتي (النون والسين)وهو ما يسميه البلاغيون بالجناس الناقص.

كما أن التكرار الصوتي لهذهِ الأصوات مجتمعة ومتفرقة تأتي عن قصدية كاملة من المبدع وهو الحق سبحانه وتعالى وبكل طواعية لتنسبك وتنسجم مع بعضها مجسدة النظم القرآني المعجز، ثم أن هذهِ الأصوات تأتي في النص القرآني بما يوافق المعنى ويعبر عنه، فتكون أنواعها ذات صفات معينة لكل نوع منسجمة مع المعنى الذي عبرت عنه وأبرزته، فمثلاً عند الكلام على أحوال الأشقياء وأنواع عذابهم والتكبيت بهم أو الحديث عن أهوال يوم القيامة نلاحظ حضور الأصوات الشديدة المجهورة التي تتوافق وهذا المعنى أما عند الكلام على النعيم الذي أدخره الله لأوليائه المؤمنين أو الحديث عن مواضع الاعتبار فنرى مجيء أصوات مهموسة متفقة مع المعنى ومعبرة عنه، فعن أنماط هذا التكرار المعبر في هذهِ السورة قوله تعالى: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) فهذا التتابع الصوتي للحاء والشين يترك في الحس حال تلك الوحوش وصورتها في يوم القيامة فهي (نافرة قد هالها الرعب والهول فحشرت وانزوت تتجمع من الهول وهي الشاردة في

(١) السور المكية دراسة بلاغية أسلوبية: ١٨٨.

الشعاب، ونسيت مخاوفها بعضها من بعض)[١].

فجرس هذين الصوتين يعبر عن حالة الهلع والخوف التي تعيشها تلك الوحوش فتنزوي وتضطرب من هول الموقف والنتيجة فإن جرس الأصوات في القرآن الكريم يأتي ملبياً لحاجة المعنى والسياق فإذا ما جاء المعنى رقيقاً شفافاً هادئاً جاءت أصواته محاكية له بما يتلائم معه ويجسده، أي ان تكرار الأصوات في القرآن الكريم هو وسيلة يتخذها السياق القرآني للتعبير عن معانيه واغراضه.

الفاصلة القرآنية

تنقسم الفاصلة في هذهِ السورة على ثلاثة أنساق كل من هذهِ الأنساق الثلاثة تعبر عن المعنى الذي يحمله ذلك النسق.

لذا نجد ارتكاز النسق الأول على حرف التاء الساكن وهو مهموس ومع الهمس شدة وانفجار فيحقق الهمس أزيزا فيه شدة راعبة أما الانفجار فيتحقق حينما ينطبق على جميع اعضاء الفم مع خروج كمية هوائية عالية، وتتردد هذهِ الفاصلة (التاء) في أربع عشرة آية الأولى وهي (كورت، وانكدرت، وسيرت، وعطلت، وحشرت، وسجرت، وزُوّجت، وسئلت، قتلت، ونشرت، وكشطت، وسعرت، وأزلفت، وأحضرت).

كما جاءت هذهِ الفاصلة على صيغة فُعِلّت ما عدا (انكدرت) جاء على (انفعلت) مضعف ثلاثي مزيد وكل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى.

أما النسق الثاني: فقد انتهت الفواصل فيه بصوت السين (الخنس، الكُنس، عسعس، وتنفس. فالجرس يوحي بدلالة المعنى وخفة وقعها في الأذن ويوحي بظلال النعومة وراحة النفس.

(١) في ظلال القرآن: ٢/ ٤٧٨.

أما النسق الثالث فتحدد الفاصلة بـ (النون) تارة و (الميم) لأنهما يشتركان في كونهما صوتين أغنين[١] .

الموازنات الصوتية

إن الموازنات الصوتية ترتبط بالايقاع وتسهم في خلق أنماط مختلفة ومتنوعة منه، تتماشى والمعنى الذي تعبر عنه تلك الموازنات الصوتية، ثم إنَّ هذهِ الموازنات التي تتكون من وحدات معجمية متساوية في بنائها المقطعي وبعض أصواتها تتناسب تناسباً يطرد مع الإيقاع.

فكلما كانت هذهِ الموازنات معبرة عن معنى القوة والشدة في وصف العذاب وأحوال الناس والكون يوم القيامة كان الايقاع سريعاً قصيراً شديداً ذا نغمات عالية، اما إن جاءت لتعبر عن النعيم ووصف الجنة فإن الايقاع سيكون هادئاً مسترسلاً مناسباً لهذهِ المعاني ومن هذهِ الموازنات قوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)، فنحس بقوة الإيقاع وقصر زمنه وسرعة نبضه بحيث يجلب انتباه السامع ويشده إليه بهذهِ الدفقات الموسيقية المتتابعة، وهذا يتناسب مع موقف الحشر يوم القيامة، فالموازنات الصوتية في القرآن الكريم عموماً جاءت لتخدم الغرض القرآني وتعبر عن غايته وقصده ثم أنها خلقت إيقاعا يتلائم وذلك المعنى الذي عبرت عنه من حيث طول زمنه وقصره أو هدوئه أو قوته، وشدته أو رخاوته وسرعته أو بطئه، فكان لها دور بارز في خدمة النسق ومعناه وتنوع إيقاعه الذي استحوذ على النفس ويجذبها إليه جذباً فهذا التفاوت في مقاصد الآية وموضوعاتها صحبه تغير في طبقة الإيقاع الموسيقى فيها[٢].

(١) ينظر جرس الألفاظ ودلالتها ١٣٨.

(٢) الجرس والإيقاع في لغة القرآن.

النـــبر

النبر في اللغة: (النبر بالكلام الهمزة، قال: وكل شيء رفع قعد نبره، والنبر مصدر نبر الحرف نبراً همزه... يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة)[١].

أما في الإصطلاح فقد عرفه الدكتور إبراهيم أنيس حيث قال النبر نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد ،فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط [٢].

ومن مظاهر النبر في هذه السورة قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ)، فيظهر دور النبر بوصفه فونيما معبراً في اللغة العربية مع الهمزة في هاتين الكلمتين فـ (الموؤدة) مأخوذة من الفعل (وأد) ولولا الهمزة لأصبحت (واد) اسماً منقوصاً محذوف الياء وشتان بين المعنيين، فضلاً عن ذلك فإن كلمة (سئلت) مأخوذة من الفعل (سأل) المهموز الوسط، وفرق جد كبير بين الفعل سال غير المهموز من الفعل المهموز وهكذا نرى أهمية النبر الذي يأتي مع الهمزة في هذهِ الكلمات.

ومن مظاهر النبر الأخرى هي التضعيف ومد حروف المد، شاهدنا على هذا الأخير في هذهِ السورة وهو قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).

أما بقية الفواصل التي لا تنتهي بهذا المقطع فنرى مواضع النبر عليها على المقطع الذي

(١) ينظر لسان العرب / مادة نبر.

(٢) ينظر الأصوات اللغوية ١٦٩.

قبل الآخر كما في قوله تعالى: (كوّرت) و (سُجّرت) و (زوّجت).

وهو من مظاهر النبر بالتضعيف ومعلوم أن التضعيف من دلالاته أنه يدل على شدة الحدث كما في قولنا (قَطعَ) (وقطّع) فقطّع تدل على الشدة في التقطيع اكثر من قطع فوزن كل من هذهِ الألفاظ سيكون:

كوّرت فُعّلت

سجّرت فُعّلت

زوجت فُعّلت

❑ ❑ ❑

المبحث الثاني
المستوى الصرفي

المستوى الصرفي من الجوانب المهمة في الدراسات اللغوية والإسلوبية لا يقل أهمية عن باقي مستويات اللغة وهي الصوتي والتركيبي والدلالي وتكمن أهمية هذا المستوى في تحديد دلالات النص ومعانيه من خلال معرفة البنية الصرفية وما تحمله من معانٍ مختلفة يحددها نسق الخطاب والقرائن الدلالية الأخرى.

في قوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) نحس هذا التضافر الكبير لاستخدام الأفعال بهذهِ الحركة العنيفة والجو غيرالمستقر والكون المنقلب المضطرب بهذا الرفع والوضع والحشر والإنكدار والتسيير... الخ، ونعلم أن الاختيار لصيغ الفعل هنا جاء ملبياً لحاجة النسق الموضوع لرصد أجواء السور.

(ويفسر الاستاذ مصطفى جواد ورود انكدر وحدها على هذا البناء في حين أن سائر الأفعال وردت على (فُعل) أو ما يسمى بالمجهول -أي المجهول فاعله-، بأن انكدار النجوم لما كان معروفاً مشهوداً صار كأنه شبه إرادي كما تقول (تدلى ثمر الشجرة)[1].

كما أن ظاهرة الاستغناء عن ذكر الفاعل، وصرف الحدث عن محدثه ظاهرة أسلوبية تكثر في مشاهد الآخرة، حيث يجيء الفعل المبني للمجهول ومن الصيغ الصرفية التي استخدمت بكثرة في سور القيامة صيغة اسم المفعول (وهو الوصف الدال على من وقع

(١) الفعل زمانه وابنيته: ص١٠٣.

عليه فعل الفاعل)[١]، ومما جاء من ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ) وصيغة اسم المفعول ترتبط بالزمن الماضي، وان صيغة سُئلت تدل –وإن لم يقع الحدث بعد، على أنه بالتأكيد كما في هذهِ الآية، وصيغة (المؤودة) هنا أفادت الثبوت لذلك جيء بها لأنه أمر حدث وثبت ولا يتغير، فضلاً عن ذلك فإن اسم المفعول (يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل، وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة)[٢]، ودلالته على الثبوت واضحة في هذهِ الآية لأن الحق أراد أن يصرف السامع إلى الحدث لا إلى الزمن.

أما قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) .

فالقرآن الكريم قال: (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ) حيث جمع بين هذين الفعلين، وفعل المشيئة هنا متحقق بالضرورة كي تتحقق الاستقامة وقد قدم سبحانه وتعالى فعل المشيئة على فعل الاستقامة وذلك لأنَّ الاستقامة لا تتحقق إلا بتحقق المشيئة، أما المشيئة فقد تحدث دون أن يصل الشخص إلى مرحلة الاستقامة مرتبطة بمشيئة الحق في قوله (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) وسبب مشيئتهم مرتبطة متأتٍ من مشيئة الحق سبحانه وتعالى لهم وإرادته بأن يشاءوا وإلا لانتفت تلك المشيئة عنهم[٣]، ثم أن القرآن الكريم لم يقل: لمن شاء منكم الاستقامة فلم يأت بالمصدر إنما جاء بالفعل المضارع مع اداته المصدرية وذلك لأن الفعل هنا بما فيه من تجدد وحدوث مناسب لحال الإنسان المتقلب غير الثابت وهذهِ مرونة يقدمها الفعل فيستخدم في هذهِ الأنساق وما شابهها[٤].

ومعلوم أن استخدام القرآن الكريم للأفعال الماضية في قوله كوِّرت وانكدرت

(١) الصرف الوافي: ود. هادي نهر: ٩٨.

(٢) معاني الأبنية: ٥٩.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: ٣٠/ ٧٨.

(٤) ينظر سورة القيامة آية: ٥٥.

وسيرت.... الخ يدل على حتمية وقوع الفعل مما يزيد من هول يوم القيامة وكأنه وقع فعلاً ومما يزيد من هذا الهول في الأسلوب (أن الأهداف غير مرتبة حسب المراحل فكشط السماء يأتي بين نشر الصحف وتسعير الجحيم والأَسماء هنا مقدمة على الأَفعال في الجمل جميعها وذلك لتحضر في الذهن (المشهد) قبل الفعل.. والمشاهد المعروضة كفيلة بإثارة الخوف والتفكير مرة أخرى، قبل العصيان والجحود!)[1].

استناداً إلى ما سبق فإن القرآن الكريم عندما يؤثر استخدام صيغة فذلك لأنها الأجدر من بين مجموعة الصيغ في اغراض خاصة والمعاني المحددة التي يريد التعبير عنها، وكذلك في تقديم الفعل على الاسم أو بالعكس كل ذلك يدل على بديع صنع الباري جل شأنه.

❑ ❑ ❑

(١) ينظر المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية: ٤١٨.

المبحث الثالث
المستوى التركيبي

التركيب ما هو إلا إحدى وسائل انتاج الدلالة فالأخيرة تتولد منه، وتستمد وجودها وكيفيتها ومداها من ارتباطاته وعليه فإن التركيب متى أفقد الدلالة أفقد قيمته لأنه إنما وضع لأجلها وصيغ لتوصيلها(١).

إن لكل مبدع القدرة في إيصال أفكاره وبأشكال وطرائق متنوعة. وعلى هذا الأساس فإن الخاصية اللغوية يمكن أن تثير في نفس المتلقي انفعالات متعددة تبعاً للسياق الذي جاءت فيه، فضلاً عن ذلك فإن نص الانفعال يمكن أن تثيره بوسائل أسلوبية متعددة(٢)، وكل هذا يتحدد بموجب قوانين النحو، وكما يقول الجرجاني: (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها)(٣).وإن أهم عوامل النظم في الجملة القرآنية: جمال الألفاظ مع المحافظة على المعنى وخدمته وتناسب الكلمات المتجاورة والابتعاد عن التكرير الذي لا يقدم معنى مفيداً يعبر عن قصد القرآن، ثم الجمال الصوتي في الفواصل وما يحققه من دلالة معنوية فضلاً عن الدقة في اختيار الكلمات من حيث دلالات موادها(٤).

أقسام الجملة في سورة التكوير

(١) ينظر أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي: ٧٣.

(٢) ينظر البلاغة والأسلوبية: ١٠٧.

(٣) ينظر دلائل الأعجاز: ٣٨.

(٤) ينظر النظم القرآني في كتاب الزمخشري للدكتور درويش الجندي: ٢٩- ٣٢.

أقسامها من حيث طول الجملة وقصَرها

الجملة: هي مظهر الكلام، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي؛ إذ يحيل بها الإنسان هذهِ المادة المخلوقة في الطبيعة، إلى معانٍ تصورها في نفسه أو تصفها، ترى النفس في هذهِ المادة المصورة وتحسها، على حين قد لا يراها المتكلم الذي أهدفها لكلامه غرضاً ولكنه بالكلام كأنه يراها[١].

ولكي يحكم على جملة ما بالطول أو بالقصر فإن ذلك يخضع لعدد من الوحدات التركيبية التي تتكون منها تلك الجملة، والوحدة التركيبية (هي كل قطعة تقوم بوظيفة أولية أو غير أولية)[٢].

ومن الجمل الطويلة في هذهِ السورة قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) فهذهِ الاتساعات المتباينة في هذهِ الآيات تشكل ملمحاً أسلوبياً بارزاً، وقد تمثلت بالمضاف إليه والصفات كما نلاحظ في النسق، والجملة الأسمية (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يمكن أن تنتهي عند هذا الحد، إلا أن الحق سبحانه وتعالى عندما أراد إبراز صفات صاحب الوحي جبريل عليه السلام جاء بهذهِ الاتساعات التي أدت إلى طول الجملة فأفادت وصف صاحب الوحي ولكي لا يترك سبحانه وتعالى أدنى شك بأن هذا القرآن إنما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، فالوحي كريم، ذو قوة عند ذي العرش، مكين، مطاع، أمين، كل هذهِ الصفات أفادت هذا الغرض، وعليه فإن أسلوب الجمل في القرآن الكريم يعين الطريقة التي ترصف بها

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ٢/ ٢٣٦.

(٢) دليل الدراسات الإسلوبية: ٤١.

الكلمات تبعاً للمعاني التي يراد التعبير عنها وتوخي الدقة من خلال ترتيب الكلام ترتيباً معيناً لا يعبر عنه ترتيب آخر[١].

وقبل ذلك في وصف الرسول ﷺ نجد يطول وصف الرسول ﷺ ونفي أنه مجنون أو ساحر كي يثبت في نهاية الجملة أن القرآن هو ذكر للعالمين.

ومثل ذلك بداية السورة فقد بدأت الجمل في اثنتي عشرة آية بكلمة (إذا) وإن إطالة ذكر تلك الجمل تشويق للجواب الواقع بعدها بقوله (عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ).

ومن هذا نستنتج أن عوامل الإتساع في الجملة القرآنية إنما تكون لفائدة يطلبها المعنى ويأتي بعضها الآخر قصيرة عندما لم تكن هناك حاجة للاتساع.

أقسام الجملة من حيث أنساقها

يمكن تقسيم الجملة في هذهِ السورة إلى عدة أنساق فكل نسق من هذهِ الأنساق يؤدي وظيفة معينة ومن خلال تضافر هذهِ الأنساق يتكامل البناء اللغوي ليعبر عن المعنى الذي يراد إيصاله، فلا يمكن أن يؤدي نسق من هذهِ الأنساق وظيفته في إيصال المعنى بصورة كاملة دون الآخر وهذهِ الأنساق هي:

١. **الشرط.**
٢. **الاستفهام.**
٣. **القسم.**
٤. **النفي.**

(١) ينظر نظام الجملة العربية ٢٨.

نسق الشرط

الشرْط في اللغة العربية أسلوب مخصوص ينبغي أن يدرس عن غيره، وهو يتكون من جملتين ترتبط كل منهما بالأخرى ارتباطاً وثيقاً وتكون إحداهما شرطاً في حدوث الأخرى أو سبباً فيه(١).

والجملة الشرطية تختلف في نظامها عن الجملة بالمفهوم الذي نعرفه، فهي تحتوي على جملتين لا تستقل إحداهما عن الأخرى معنى أو تركيباً، وإن اشتملت كل منهما على طرفي الإسناد، فالجملة الشرطية تعتمد في وجودها على جملتي الشرط والجواب جميعاً(٢).

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن الجملة المعطوفة على جملة الشرط في نحو قوله تعالى: (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً)(٣)، داخلة في الشرط، والشرط فيهما معا لا في واحدة دون الأخرى، يقول عبد القاهر تعقيباً على الجملة القرآنية السابقة: (الشرط كما لا يخفى –في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على انفراد)(٤).

وأول ما نلحظه في ميل القرآن الكريم لاستخدام أداة الشرط (إذا) وهي من أدوات الشرط الأصلية، ووردت في نحو تسع وعشرين جملة من الجمل الشرطية وهي نسبة لا تدانيها فيها أية أداة من الأدوات التي استخدمت في جزء عمّ(٥).

(١) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة النساء آية: ١١٢.

(٤) ينظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٧٣.

(٥) لغة القرآن الكريم في جزء عمّ: ٤٩٤.

الجملة الشرطية في سورة التكوير

تتكون الجملة الشرطية في سورة التكوير من :

إذا + الاسم المرفوع + (فعل أو انفعل).

يدل هذا التركيب على الزمن المستقبل، وإن وقع الاسم المرفوع من اذا، وصيغة المبني للمجهول أو المطاوعة، وقد ورد في اثني عشر موضعاً في سورة التكوير.

قال تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ)[1].

وهذه الجمل وردت متعاطفة في سورة واحدة، وكررت إذا في كل منهما، ولم يأت لها جميعاً إلا جواب واحد هو قوله عز وجل: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ).

الافتتاح بـ (إذا) افتتاح مشوق لأن إذا ظرف يبتدئ متعلقاً، ولأنه أيضاً شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعندما يستمعه يتمكن من نفسه كمال التمكن، وخاصة بالإطناب بتكرير كلمة (إذا) فإعادة كلمة (إذا) بعد واو العطف في هذهِ الجمل المتعاطفة إطناب، وهذا الاطناب أقتضاه قصد التهويل.

وفي إعادة (إذا) أيضاً إشارة إلى أن مضمون كل جملة من هذهِ الجمل مستقل بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بقطع النظر عن النفوس بما أحضرت أقرب من زمان التكوير وما عطف عليه مما يحصل قبل البعث وقد ذكر في هذهِ الآيات اثني عشر حدثاً

(١) سورة التكوير الآيات: ١- ١٣.

فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة.

وكانت الجمل التي جعلت شروطاً لـ(إذا) في هذهِ الآية مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلي دون كونها جملة فعلية ودون تقدير أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة وذلك يؤيد قول نحاة الكوفة بجواز وقوع شرط (إذا) جملة غير فعلية لأن (إذا) عندهم غير عريقة في الشرط فالاسم مرفوع على الابتداء عندهم... أما البصريون فقد ذهبوا إلى أن الاسم مرفوع على الفاعلية لفعل مضمر يفسره الفعل الواقع بعد الاسم المرفوع[١]، وهذا ما شغل النحاة أنفسهم عن دلالة التركيب بإعراب الاسم المرفوع المتقدم، ولو نظرنا إلى دلالة التركيب لما احتاج نحاة البصرة إلى كل هذهِ التقديرات المتكلفة فالقصد بهذا الأسلوب هو الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال التي يغلب أن تكون شرطاً لـ(إذا) لأن الابتداء بها أدخل في التهويل والتشويق وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تَقَوي الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل.

وكما ذكرنا سابقاً أن صيغة الفعل الماضي في هذهِ الجمل تفيد معنى الاستقبال كونها شروطاً لـ(إذا) وأنما استعملت بهذهِ الصيغة لإرادة التنبيه على تحقق وقوع الشرط وهو الغالب في أُسلوب القرآن الكريم على العكس من أن ذكر الخطيب في الإيضاح: (أَنَّ الأصل في (إن) ألا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه، كما تقول لصاحبك، إن تكرمني أكرمك، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك)[٢]، ويرى أهل المعاني أن إذا تستعمل مع المتوقع وقوعه، فالأصل في (إذا) أن يكون الشرط مقطوعاً بوقوعه، كما نقول: إذا زالت الشمس أتيتك)[٣]. وهذا ما يشير إلى وظيفة (إذا) في هذهِ السور فإذا تعد نقطة ارتكاز فحينما نلغي

(١) ذكر أبو حيان أن إعراب الاسم المرفوع بعد إذا ليس مجمعاً عليه النحاة كما ذكر الزمخشري ينظر البحر: ٨/ ٤٠٥.

(٢) الإيضاح: ص٦٧، وينظر النحو العربي نقد وتوجيه: ص٢٩١.

(٣) المصدر نفسه.

(إذا) تصبح الجملة لا قيمة لها لأنها سوف تكون مجرد إخبار عن شيء قد مضى ومن ثمة سوف يختل المعنى ومن وظائفها المعنوية أيضاً (الوظيفة الاحتجاجية) التي تنقل السامع من الاحتجاج بما يألفه من محسوسات ومشاهد يومية متجلية إلى مشاهد غيبية وذلك بالبرهنة والإقناع مع استيفاء الأحداث فضلاً عن كونها تفيد المباغتة.

نسق الإستفهام

ففي توجيه السؤال إلى الموؤدة (بأي ذنب قتلت) في ذلك الحشر إدخال الروع على من وأدها، وجعل سؤالها عن تعيين ذنب أوجب قتلها للتعريض والتوبيخ والتخطئة للذي وأدها وليكون جوابها شهادة على من وأدها فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر.

فيفيد الاستفهام هنا:

التهديد والوعيد من خلال توجيه السؤال في ذلك الموقف والتعريض بالقاتل.

الاحتجاج وذلك عند سؤال الموؤدة عن تعيين الذنب وجوابها شهادة على وأدها.

تهويل الموقف عند السؤال عنها في ذلك الموقف المرعب لأن هذا السؤال في الوقت الذي تعلم عنده كل نفس ما أحضرت فهو من أول ما يعلم به حين الجزاء.

أما الاستفهام الثاني في هذهِ الآية ففي قوله تعالى: (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) فـ(أين)، هي الكناية عن المكان، وتستعمل في العربية استعمالين[1].

أحدهما: في الاستفهام نحو: أين تسكن الآن؟

وثانيهما: في الشرط، نحو: أين تجلس أجلس.

فقوله تعالى: (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) بعدما ذكر لهم صفات الوحي وصفات الرسول وسد

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩٣.

عليهم طرق بهتانهم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائهم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن وغير ذلك، فكما نقول لتارك الجادة اعتسافاً أين تذهب؟، وقد بينت الآية فيها بعد في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)، أي تذكرة وعظة لهم بعدما طرأ على طباعهم من ملكات السوء التي تحدثها أمراض الاجتماع.

نسق القسم

لاحظت بنت الشاطئ أن القرآن الكريم لا يستعمل القسم مسنداً إلى الله إلا من (لا) النافية باستقراء كل آيات القسم في القرآن الكريم فكان لي من هذا الاستقراء ما يؤذن بأنه سبحانه ليس به حاجة إلى القسم(١).

وفسرها بعض المفسرين أو المهتمين بالقسم في القرآن الكريم (لا) السابقة للفعل (أقسم) بمعنى أقسم(٢).

ففي قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ) أقسم الله تعالى بالنجوم لعظمتها وهي من المدركات الحسية تمثل نظام الكون ومداراته المنظمة من غير أن تتصادم فيما بينها وهذا من احتجاج الخالق على البشر في بديع صنعه وقدرته لكي ينقل المخاطب بعد ذلك إلى الغيبات التي لا تدرك بالحس، والاستدراج بالخصم أي الاعتراف بما يجيء.

وفي قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) لم يكن القسم مجرداً وإنما يأخذ وظيفة الشرط كله فضلاً عن وظائفه الخاصة به، ففي هذا وما أشبهه قسم ووصف به ليكون الاستدلال أعظم في النفس، ثم إن من مزايا القسم أنه يسهل الجمع بين عدة

(١) التفسير البياني، بنت الشاطئ: ١/ ٢٥.

(٢) ينظر السور المكية دراسة بلاغية اسلوبية ٣١٨.

مشاهد في جملة واحدة أو في جمل متلاحقة.

(وفي القسم تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى، لأنه يقرع أذني المخاطب، فيصغي ويترقب ما بعده ثم يجيء بالدعوى فيسهل قياده لها)[1].

والائتلاف الأسلوبي بين القسم والشرط ينتج حركة تعني بها فعل التشخيص الاستشاري فالليل يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى وهو إيحاء عجيب ومثله (والصبح إذا تنفس) فالصبح ليس يتنفس، أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذهِ الحقيقة ثم يذكر بعد ذلك الحقيقة التي يريد إيصالها في أنسب الحالات لذكرها واستقبالها وهو قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)، فهو جواب القسم والشرط ويتجه الخطاب إلى وصف الرسول ﷺ.

نسق النفي

جاء في سورة التكوير هذا النسق في حال النفي المؤكد وقد قيدت النفي المؤكد، لأن نفي الجملة الأسمية لم يأت إلا مؤكداً وقد كثر في القرآن الكريم استعمال أداة النفي ما.

أما في هذهِ السورة فيمكن تقسيم الجملة المنفية إلى قسمين:

الأول: نفي مؤكد بحرف جر زائد –كما يسميه النحويون– وذلك في قوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ).

(أداة النفي + اسم + حرف جر زائد+ خبر).

وقوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ).

(أداة النفي + اسم + جرف جر زائد + خبر).

(١) المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية: ٤٥١.

الثاني: نفي مؤكد بحرف وتقديم الظرف على الخبر كما في قوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ).

(أداة نفي + اسم + الظرف + حرف جر زائد + الخبر).

وقد قُدم الظرف في هذهِ الآية للاهتمام بالمتقدم وهو هنا الغيب لاهتمام المخاطب بالغيب وشكه فيه فيؤكد الله تعالى أن الرسول ﷺ أمين على الغيب الذي يحدثكم فيه ولظنهم أن لكل شاعر شيطاناً يأتيه بالقول الفريد وأن لكل كاهن شيطاناً يأتيه بالغيب البعيد، لذا جاء هذا المقطع من هذهِ السورة لينفي كل ما تَقَوَّله عليه بصيغة النفي الإنكاري المؤكد وبحجج دامغة وهو قوله تعالى: (صَاحِبُكُم)، لأن الصاحب هو المعروف عندهم فما عرفوا عنه إلا الصدق واليقين.

إستعمال أداة النفي مع إلّا

قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ).

استعمل القرآن الكريم أداة النفي وهي هنا (إن) مع أداة الاستثناء (إلَّا) وهذا ما يسمى أسلوب القصر، ذلك أن القصر المستفاد من النفي والاستثناء يفيد قصر القرآن على صيغة الذكر، ويقصد به إبطال أن يكون قول شاعر أو كاهن، أو قول مجنون وكذلك ينفي كونه (قول شيطان رجيم وتخصيص القرآن على الذكر دون غير ذلك من الأقاويل التي تقولوها على القرآن.

ويمكن ملاحظة ذلك المعنى من اختلاف المعنى بين قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) وقولنا (هو ذكر للعالمين) المعنيان يدلان على أنه ذكر للعالمين ولكن معنى الآية يفيد قصر القرآن على الذكر دون الصفات الأخرى وقولنا (هو ذكر للعالمين) ليس فيه قصر فيحتمل أن يكون مع كونه ذكراً صفات أخرى غير الذكر، لذلك أكد القرآن الكريم

بهذا الأسلوب على أن القرآن هو ذكرٌ للعالمين وليس ما تصفونه من الصفات الأخرى التي ذكرها القرآن ونفاها عنه.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فقد استعمل القرآن أداة (ما) مع (إلَّا) إذ قصر المشيئة على الحق سبحانه وتعالى، وإن استقامتهم لا تتحقق إلا بإرادته هو، فالحق سبحانه وتعالى يشاء الفعل ثم يشاء العبد، لأن المفعول به للفعل (تشاؤون) محذوف، تقديره (مشيئتكم) وليس تقديره مشيئة فعل العبد، أي يشاء الله مشيئتكم المطلقة بغض النظر عن نوعها، ثم بها تشاؤن ما تختارونه من الأفعال، ونسق الآية يدلل على أن مشيئة العبد المطلقة لا تحصل لإنسان إلا بعد أن يشاءها الحق سبحانه وتعالى، ومن ثم يشاء بها أي فعل يختاره[1].

❑ ❑ ❑

(١) ينظر أفعال العباد بين الجبر والاختيار، د.عبد الملك السعدي: ٤٣.

المبحث الرابع
المستوى الدلالي

الدلالة الصوتية

إن من أسباب الاختيار الصوتي في القرآن الكريم اختيار ألفاظ معينة ذات جرس خاص لإشاعة جرس واحد في النسق وبما يتلائم مع دلالته العامة أو بما يساعد على تثبيت أطر الصورة المرسومة ويحقق ظلالها المعنوية، وقد ذهب جوزيف شريم إلى أنه لا يتم تذوق الهندسة الإيقاعية الحقة إلا إذا حصلنا على تلاؤم بين المكونات الثلاثة التي تشكل الرؤوس الثلاثة للمثلث الآتي:

معان

أصوات **مشاعر**

واعتماداً على هذهِ الترسيمة (المقفلة إلى حد ما) يمكن القول إن الاصوات في نظام اللغة الفونولوجي لا قيمة رمزية لها بينما هي تثير بعض مشاعر المستمع في كلام محدد بالاتفاق مع المعنى[1].

قال تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا

(١) ينظر: دليل الدراسات الأسلوبية: ١١٠.

تَنَفَّسَ) وقد اختيرت مفردات الآية مشتركة بدلالة المعنى والصوت اللذين يشكلان عنصراً واحداً في صرف مشاعر وذهن القارئ أو المستمع في اتجاه واحد وهو الغاية التعبيرية التي يحتاجها النسق أو البنية العامة فمدار الدلالة المعجمية لمفردات الآية تدور حول الخفاء والمخافتة فالخنس في أغلب معانيها تدل على السر والاختفاء والحبس والتأخر وهي هنا بمعنى اختفاء هذهِ الكواكب والكنس التي تستر كما تكنس الظباء في المغار وعسعس الليل اعتكرت ظلماؤه وهو من الاضداد أي أقبل وأدبر وذلك في مبدئه ومُنتهاه فالعسعسة رقة الظلام وذلك في طرفي الليل وهو الخفيف من كل شيء وقد شكلت هذهِ المفردات المختارة لهذا هندسة صوتية قائمة في بنائها على التكرر المقصود والمنتظم لصوت السين الذي ناغم بحرسه صور الألفاظ وإيحائها التي شكلته بهذهِ الصورة[١].

دلالة التنكير

قال تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) فقوله (نفس) نكرة في نسق الشرط مُراد بها العموم، أي علمت كل نفس ما أحضرت واستفادة العموم من النكرة في سياق الاثبات تحصل من القرينة الدالة على عدم القصد إلى واحد من الجنس، والقرينة هنا وقوع لفظ نفس في جواب هذهِ الشروط التي لا يخطر بالبال أن تكون شروطاً لشخص واحد، وقد قال تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ)[٢]، والإحضار: جعل الشيء حاضراً، ومعنى (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) حصول اليقين بما

(١) ينظر في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٤ وينظر التحرير والتنوير ٣٠ / ١٣٥-١٣٦.

(٢) سورة آل عمران آية: ٣٠.

لم يكن لها به علم من حقائق الأعمال التي كان علمها بها أشتاتاً فأثبت العلم لهم في ذلك اليوم عن أعمالهم من خير أو شر فيعلم ما لم يكن له به علم مما يحقره من أعماله ويتذكر ما كان قد علمه من قبل، وتذكر المنسي والمغفول عنه نوع من العلم.

الدلالة البلاغية

في قوله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) فعل (أحضرت) استعارة فقد أسند الإحضار إلى النفوس لأنها الفاعلة للأعمال التي يظهر جزاؤها فهذا الإسناد من إسناد فعل الشيء إلى سبب فعله فحصل هنا مجازان مجاز لغوي، ومجاز عقلي، وحقيقتهما في قوله تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ)[١]، وجعلت معرفة النفوس لجزاء أعمالها عند حصول مجموع الشروط التي ذكرت.

وفي قوله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) أي انشقاق ضوئه فتنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم، فحقيقة التنفس خروج النفس من الحيوان، استعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيه خروج الضياء بخروج النفس على طريقة الاستعارة المصرحة، أو لأنه إذا بدا الصباح أقبل معه النسيم فجُعل ذلك كالتنفس له على طريقة المكنية بتشبيه الصبح بذي نفس مع تشبيه النسيم بالأنفاس[٢].

ومنه أيضاً قوله تعالى: (عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) فقد عدل عن اسم الجلالة إلى (ذي العرش) بالنسبة إلى جبريل لتمثيل حال جبريل ومكانته عند الله بحالة الأمير الماضي في تنفيذ أمر الملك وهو بمحمل الكرامة لديه.

(١) سورة آل عمران آية: ٣٠.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١٣٦-١٣٧.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) فالصاحب حقيقة: ذو الصحبة، وهي الملازمة من أحوال النجم والإنفراد للمؤانسة والموافقة، ومنه قيل للزوج: صاحبة، وللمسافر مع غيره صاحبُ، قال امروء القيس:

بكى صاحبي لّما رأى الدَّرب دونه

فلا يخفى أن العدول عن اسم النبي العلم إلى (صاحبكم) لما يؤذن به (صاحبكم) من كونهم على علم بأحواله فهذهِ صفة الرسول الذي حمل القول وأداه، فالرسول الذي حمل إليكم هو (صاحبكم) عرفتموه حق المعرفة عمراً طويلاً فما لكم حين جاءكم بالحق تقولون فيه ما تقولون وتذهبون في أمره المذاهب وهو (صاحبكم) الذي لا تجهلون، وهو الأمين على الغيب الذي يحدثكم عنه عن يقين.

عدوله عن الدلالة اللغوية

العدول عن الدلالة اللغوية لأسباب فمن ذلك التفريق القرآني بين (الصبح، والفجر) حيث يُلاحظ أن كل استخدام لمفردة الصبح واشتقاقاتها لا يخرج عن قصد العذاب والإهلاك، قال تعالى: (وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ)[٢] .
قال تعالى: (... وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ)[٣]، و (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٣٨.
(٢) سورة القمر آية: ٣٨.
(٣) سورة القلم آية: ١٩- ٢٠.

الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)[١] على العكس من لفظة (الفجر) التي ما استعملت إلا في نسق خالٍ من العذاب إن لم يكن أقرب إلى الرقة قال تعالى: (وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)[٢]، وقال تعالى: (سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)[٣]، أو في أنساق تتعلق بالأحكام يستثنى من هذا قوله تعالى: (فَالِقُ الإِصْبَاحِ)[٤]، وإنما جيء به للحاجة إلى جمع ولا جمع للفجر لمناسبة (الإصباح للإنفلاق) من حيث الجرس غير أن التعبير القرآني خالق هذا الاستخدام في قوله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) فعدل في هذا الموضع عن استخدام (الفجر) لتحقيق التناسق الصوتي في نظم النسق الذي جاءت فيه هذهِ الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) فالألفاظ المختارة كلها تحتوي على صوت (السين) الصفيري فجيء بالصاد الصفيري ليناسب التكرار فلو كان الاختيار واقعاً على (الفجر) لأصبح الجرس متعثراً فيه نبوة يوجدها صوت (الجيم) الذي سيكون ثقيلاً جداً في مثل هذا النسق لذا فالتناسق الصوتي كان سببا في اختيار المفردة مما يحققه الاختيار الدقيق للمفردة دون الإخلال بالقيمة الدلالية[٥].

الدلالة النفسية

لا يمكن حصر الدلالات النفسية الموجودة في هذهِ السورة فهي فقط من بدايتها إلى نهايتها تشغل السامع وتشده فتغلب كل شيء، وتنثر كل شيء، وتهيج الساكن وتروع

(١) سورة هود آية: ٨١.
(٢) سورة الفجر آية: ١- ٣.
(٣) سورة القدر آية: ٥.
(٤) سورة الأنعام آية: ٩٦.
(٥) ينظر الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم ٢٣.

الآمن، وتذهب بكل مألوف، وتبدل كل معهود، وتهز النفس البشرية هزاً عنيفاً طويلاً، بخلعها بكل ما اعتادت عليه أن تسكن إليه، وتتشبث به، فإذا هي عاصفة الهول المدمر لا قرار ولا ملاذ إلا في حمى الواحد القهار، الذي له وحده البقاء والدوام، وعنده وحده القرار والاطمئنان.

وفي السورة –مع هذا– ثروة ضخمة من المشاهد الرائعة، سواء في هذا الكون الرائع الذي نراه أو في ذلك اليوم الآخر الذي ينقلب فيه الكون بكل ما نعهده فيه من أوضاع، فتلتقي هذهِ وتلك في حيز السورة الضيق، فتضغط على الحس وتنقض إليه في قوة وإيماء[1].

❑ ❑ ❑

(١) في ظلال القرآن٦/ ٣٨٤٢

الخاتمة

وبعد هذهِ الرجعة السريعة يمكن أن نلخص أهم ما توصلنا إليه ونجمله بالآتي:

للتعبير القرآني أسلوب فريد يختلف عن الأساليب المعروفة في إيراد المعنى ومنها المستوى الصوتي فقد ساهم مساهمة فعَّالة في إيضاح المعنى من خلال جرس الحروف والفاصلة القرآنية، والموازنات الصوتية.

ساهم المستوى الصوتي في تحديد دلالات النص القرآني من خلال معرفة البنية الصرفية وما تحمله من معانٍ مختلفة يحددها أسلوب الخطاب والقرائن الدلالية الأخرى كما وجدنا ذلك في صيغة اسم المفعول في قوله: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ).

أدت كل جملة من جمل السورة وظيفة معينة حسب أنساقها المتضافرة في هذهِ السورة وبهذهِ الأنساق تكامل البناء اللغوي وعبر عن المعنى اللغوي بشكل يدل على عظمة هذا البناء.

للدلالات اللغوية في سورة التكوير الدور الواضح في توصيل المعنى كما نجد ذلك في الدلالة الصوتية في قوله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) فالهندسة الصوتية قائمة في بنائها على صوت السين الذي حاكى جرسه صور الخفاء المتمثلة في هذا المقطع.

كما نجد للدلالة البلاغية والنفسية الأثر الواضح في إيراد المعنى الذي هز النفوس قبل العقول.

وهذهِ أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر

٥- القرآن الكريم.
٦- أَثر اللسانيات في النقد العربي القديم توفيق الزيدي، (دار العربية للكتاب، ١٩٨٤م).
٧- الأصوات اللغوية،الدكتور إبراهيم أنيس ،ط٦،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٤م.
٨- أفعال العباد بين الجبر والاختيار في القرآن الكريم، الدكتور عبد الملك السعدي (ط١، العراق- الرمادي، ١٤٣٧هـ/ ١٩٩٦م).
٩- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني وأبيات والبديع) للخطيب القزويني (ت ٧٦٩)، (دار الكتب، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
١٠- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، (دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت- لبنان، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
١١- التحرير والتنوير تأليف :محمد الطاهر ابن عاشور،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت/ لبنان،٢٠٠٠م.
١٢- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (دار المعارف بمصر، ١٩٥٦).
١٣- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطبي)، (دار المعارف بمصر، ١٩٦٢).
١٤- جرس الألفاظ ودلالتها ،الدكتور ماهر مهدي هلال،دار الحرية للطباعة بغداد،١٩٨٠م.
١٥- الجرس والإيقاع في القرآن الكريم كاصد ياسر الزيدي، مجلة الآداب-الرافدين/ جامعة الموصل.

١٦- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١) الشيخ محمد عبده ومحمد علي الشنقيطي، شركة الطباعة العلمية المعتمدة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
١٧- الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم بحث قدمه الدكتور كاصد ياسر الزيدي، كلية الآداب ،جامعة الموصل،١٩٩٣م.
١٨- دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شرم، (المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤، بيروت- لبنان).
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الشيخ محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
٢٠- سور القيامة دراسة أُسلوبية رسالة ماجستير قدمتها مواهب عباس رافع الدليمي جامعة الأنبار،كلية التربية .
٢١- السور المكية، دراسة بلاغية أسلوبية اطروحة دكتوراة قدمتها عروبة خليل إبراهيم الدباغ، كلية التربية/ ابن الرشد.
٢٢- الصرف الوافي، الدكتور هادي نهر، مطابع التعليم العالي، الموصل ١٩٨٥.
٢٣- الفعل أَبنيته وصفاته، دكتور إبراهيم السامرائي، (مكتبة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
٢٤- في ظلال القرآن/ سيد قطب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان).
٢٥- في النحو العربي (نقد وتوجيه)، الدكتور مهدي المخزومي، (دار الرائد العربي، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
٢٦- لسان العرب،ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(ت ٧١١)،دار صادر للطباعة والنشر.
٢٧- لغة القرآن الكريم في جزء عم، تأليف: محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية- بيروت، ١٩٨١م.

٢٨- المشاهد في القرآن الكريم، الدكتور صادق حامد قنيبجي، مكتبة المنار، ط١، الأردن- الزرقاء، ١٩٨٤م.

٢٩- معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٠- نظام الجملة العربية ،سناء حميد البياتي،رسالة ماجستير،جامعة بغداد كلية الآداب١٩٨٣م.

٣١- النظم القرآني في كشاف الزمخشري، تأليف الدكتور درويش الجندي، دار نهضة مصر- القاهرة، ١٩٦٩م.

❑ ❑ ❑